



عَلَّمَتْنِي الْحَيَاةُ أَنْ أَتَلَقَّى
كُلَّ أَلْوَانِهَا رِضًا وَقَبُولًا
وَرَأَيْتُ الرِّضَا يَخَفِّفُ أَثْقَالِي
وَيُلْقِي عَلَى الْمَآسِي سُدُولًا
وَالَّذِي أُلْهِمَ الرِّضَا لَا تَرَاهُ
أَبَدَ الدَّهْرِ حَاسِدًا أَوْ عَذُولًا
أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ مَا كَتَبَ اللَّهُ
وَمُزَجٌّ إِلَيْهِ حَمْدًا جَزِيلًا
أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ
لِئِيمًا أَلْفَيْتُهُ أَوْ نَبِيلًا
لَسْتُ أَخْشَى مِنَ اللَّئِيمِ أَذَاهُ
لَا، وَلَنْ أَسْأَلَ النَّبِيلَ فَتِيلًا
فَسَحَّ اللَّهُ فِي فُؤَادِي فَلَا أَرْضَى
مِنَ الْحَبِّ وَالْوَدَادِ بَدِيلًا
فِي فُؤَادِي لِكُلِّ ضَيْفٍ مَكَانُ
فَكُنْ الضَّيْفَ مُنْسَأً أَوْ ثَقِيلًا
ضَلُّ مَنْ يَحْسِبُ الرِّضَا عَنْ هَوَانٍ
أَوْ يَرَاهُ عَلَى النِّفَاقِ دَلِيلًا
فَالرِّضَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَسْعِدْ

بها في العباد إلا القليل

والرضا آية البراءة والإيمان

بالله ناصراً ووكيلاً

علمتني الحياة أن لها طعمين

مُراً، وسائغاً معسولاً

فتعوّدتُ حالتيها قريراً

وألفتُ التغيير والتبديلاً

أيها الناس كلُّنا شاربُ الكأسين

إنْ علقماً وإنْ سلسبيلاً

نحن كالرّوضِ نُضرةٌ ودُّبولا

نحن كالنَّجمِ مَطْلَعاً وأُفولاً

نحن كالريحِ ثورةٌ وسكوناً

نحن كالمُزنِ مُمسكاً وهطولاً

نحن كالظنِّ صادقاً وكذباً

نحن كالحظِّ منصفاً وخذولاً

قد تسرّي الحياةُ عني فتبدي

سخریاتِ الوری قَبِلاً قَبِلاً

فأراها مواعظاً ودروساً

ويراها سواي خُطباً جليلاً

أمعن الناس في مخادعة النفسِ

وضلُّوا بصائرًا وعقولا

عبدوا الجاه والنُّضار وعینا

من عیون المَهَا وخداً أسیلا

الأديب الضعيف جاهاً ومالاً

ليس إلا مثرثراً مخبولاً

والعتلُّ القويُّ جاهاً ومالاً

هو أهدى هُدى وأقومُ قیلا

وإذا غادة تجلّت عليهم

خشعوا أو تبتّلوا تبتیلا

وتلّوا سورة الهیام وغنّوها

وعافوا القرآن والإنجیلا

لا يريدون أجلاً من ثواب الله

إنَّ الإنسان كان عجولاً

فتنة عمّت المدينة والقرية

لَمْ تَغْفِ فِتْيَةَ أَوْ كَهُولًا

وَإِذَا مَا انْبَرَيْتَ لِلْوَعظِ قَالُوا

لَسْتَ رَبًّا وَلَا بُعِثْتَ رَسُولًا

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْدِينِ

وَلَا يَرْهَبُ الْحِسَابَ الثَّقِيلَا

أَكْثَرُ النَّاسِ يَحْكُمُونَ عَلَى النَّاسِ

وَهِيَاهُتُ أَنْ يَكُونُوا عَدُولًا

فَلَكُمْ لَقَبُوا الْبَخِيلَ كَرِيمَا

وَلَكُمْ لَقَبُوا الْكَرِيمَ بَخِيلَا

وَلَكُمْ أَعْطُوا الْمَلْحَ فَأَغْنُوا

وَلَكُمْ أَهْمَلُوا الْعَفِيفَ الْخَجُولَا

رَبُّ عِذْرَاءٍ حَرَّةٍ وَصَمُوهَا

وَبَغْيٍ قَدْ صَوَّرُوهَا بِتُولَا

وَقَطِيعِ الْيَدَيْنِ ظِلْمًا وَلَصِ

أَشْبَعَ النَّاسَ كَفَّهُ تَقْبِيلَا

وَسَجِينٍ صَبُّوا عَلَيْهِ نَكَالَا

وَسَجِينٍ مَدَّلَّ تَدْلِيلَا

جُلُّ مَنْ قَلَّدَ الْفَرْنَجَةَ مَنَا

قَدْ أَسَاءَ التَّقْلِيدَ وَالتَّمَثِيلَا

فَأَخَذْنَا الْخَبِيثَ مِنْهُمْ وَلَمْ نَقِ

بَسٍ مِنَ الطَّيِّبَاتِ إِلَّا قَلِيلَا

يَوْمَ سَنَّ الْفَرْنَجَ كَذِبَةَ إِبْرِيلَ

غَدَا كُلُّ عُمْرِنَا إِبْرِيلَا

نَشْرُوا الرِّجْسَ مَجْمَلًا فَنَشْرِنَاهُ

كِتَابًا مَفْصَلًا تَفْصِيلَا

عَلِمْتَنِي الْحَيَاةَ أَنَّ الْهَوَى سَيْلٌ

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرُدُّ السَّيُولَا

ثُمَّ قَالَتْ: وَالْخَيْرُ فِي الْكُونِ بِاقْبَلِ

أَرَى الْخَيْرَ فِيهِ أَصْلًا أَصِيلَا

إِنْ تَرِ الشَّرَّ مُسْتَفِيزًا فَهَوِّنِ

لَا يَحِبُّ اللَّهَ الْيَتُوسُ الْمَلُولَا

وَيَطُولُ الصَّرَاعُ بَيْنَ النَّقِيزَيْنِ

وَيَطْوِي الزَّمَانُ جِيلًا فَجِيلَا

وتظللُ الأيام تعرض لونيها
على الناس بُكرةً وأصيلا
فذلِيلُ بالأمس صار عزيزا
وعزيزُ بالأمس صار ذليلا
ولقد ينهض العليلُ سليما
ولقد يسقطُ السليمُ عليلا
ربَّ جوعانٍ يشتهي فسحة العمرِ
وشبعانٍ يستحثُّ الرحِلا
وتظللُ الأرحامُ تدفع قابيلاً
فيُردي ببغيه هابيلا
ونشيد السلام يتلوه سقّاحون
سنُّوا الخراب والتقتيلا
وحقوق الإنسان لوحة رسّامٍ
أجاد التزوير والتضليلا
صورٌ ما سرحتُ بالعين فيها
وبفكري إلا خشيتُ الذهولا

قال صبحي: نراك تشكو جروحا
أين لحن الرضا رخيماً جميلا
قلتُ أما جروح نفسي فقد عودتُها
بَلَسَمَ الرضا لتزولا
غيرَ أنَّ السكوتَ عن جرح قومي
ليس إلا التقاعسَ المرذولا
لستُ أرضى لأمة أنبتتني
خُلُقاً شائهاً وَقَدراً ضئيلا
لستُ أرضى تحاسداً أو شفاقا
لستُ أرضى تخاذلاً أو خمولا
أنا أبغي لها الكرامة والمجدَ
وسيفاً على العدا مسلولا
علمتني الحياة أني إن عشتُ
لنفسِي أعشُ حقيراً هزيلا
علمتني الحياة أني مهما
أتعلَّم فلا أزالُ جهولا

